# الباب الرابع

# الخوف

obeikandl.com

# الفصل الأول

## الخوف

أعرف أحد الامريكيين المشهورين فى هذا البلد . هذا الأمريكى له ابن صغير ، وهو كباقى الأمريكيين يعتنى كثيراً بتربية هذا الصبى ويصرف معه وقتاً طويلا ويشترك معه فى العابه ويتعاون معه فى المشاريع المختلفة . هذا الكبير ذهب الى أحد البيوت التجارية واشترى زوجى قفازات للملاكمة ، زوج كبير يصلح لرجل وآخر صغير لايصلح الا لصبى ، فقابله أحد معارفه وسأله

ـ ماالغرض من هذه القفازات ؟

ـ للملاكمة

ـ ومن سيتلاكم بها وأحدها لايصلح لرجل

ـ انا وابنى

ـ انت وابنك ؟ وهل تريد ان ينشأ ولدك ملاكما ؟

ـ ليس حتما . ومع ذلك هو وما يريد عند مايكبر

ـ ولكن ماالغاية من هذه الملاكمة ؟

ـ أريد ان أحقق بها غرضاً اخلاقياً

ـ عهدى بالملاكمة أنها تنفع البدن فتقويه ولكن مادخلها بالاخلاق ؟

ـ أريد ان ينشأ ابنى قوياً أولا وهذه احدى السبل لذلك ، ثم أريده ان يكون شجاعا غير هياب يحتمل الضرب ويقاوم ، انا لايهمنى ان كان يتعلم أن يضرب أم لايتعلم وانما أرغب فى أن أراه يصمد للضرب واللكم من غير ان يتهيب ذلك ومن غير ان يفر أو ينكمش ولذلك فسوف ألاكمه بعض الأحيان ، ومتى اعتاد

هذا الضرب من الرياضة فسوف يكون له جلد وشجاعة ليقف فى وجه من يحاول الاعتداء عليه . انت تعلم يافلان اننا نحن معشر الأمريكيين لانحب الرجل الرخو الناعم الضعيف القلب

صدق هذا الامريكى فيما ذهب اليه وانصف فى اختيار هذه السبيل بالذات فى تربية ابنه ، ولا نظن ان شعباً من الشعوب المتمدينة أحوج منا نحن المصريين للشجاعة والاقدام ، لاننا نهاب المنازلة جسما لجسم . فلم ير المؤلف فيما رأى من شعوب العالم الراقى ان اثنين يمسكان بملابس بعض ويقفان عند هـــذا الحد من المنازلة وينطلقان فى السباب والشتائم إلا فى مصر ، أو اذا لم يفعلا هذا يقفان على جانبى الشارع ويكتفيان بالمهاترة الكلامية وذكر الآباء والأمهات ويهدد أحدهما الآخر بقوله انه سيصفعه أو سيدك عنقه إذا ماوصل اليه . هذا وهو يعلم أنه لن يصل اليه لان الجبن يقيد الاثنين

لقد مر بالمؤلف حوادث من هذا القبيل وشاهد تصرف الطرفين فى كل منهما ، أما احداها فقد حدثت فى شارع سليمان باشا حيث اختلف افنديان وشعرا ان الخلاف لايسوى إلا بمنازلة فأخذا بملابس بعضهما ووقفا على هذه الحالة وهما ممسكان بأطراف الملابس يتراشقان بالشتائم . كنت ماراً بتلك الجهة فوقفت أراقبهما مايقرب من العشر دقائق ، وبعد ان أشبعا بعضهما شتما وجذبا فى الملابس تركك أحدهما الآخر وسار فى حال سبيله وانتهى النزال على هذه الحال المزرية ، وحادثة أخرى وقعت تحت حسى فى رأس البرولفت اليها نظر صديق كان بجانبى . كان ثلاثة يسيرون جنبا الى جنب ونحن جالسون على القهوة . وكانوا يتحدثون بحدة نوعا ما ولم نكن ندرى موضوع الحديث . فهم أحدهم ونفض يده وصفع أحد رفيقه صفعة دوى لها الشارع فما كان من المصفوع وهو افندى فى سن الضارب أو ما يقرب منه الا ان قال والا ان أخذ يقول ويردد هـــذا القول

تضربنى أنا ؟ والله لأوريك . . . . تضربنى أنا ؟ والله لأوريك ، وسار ثلاثتهم فى الشارع والمصفوع يردد هذا الكلام الفارغ . وكان أفضل له لو وضع يده مكان الصفعة وطأطأ رأسه وعاد من حيث أتى مادام يشعر أنه عاجز عن رد الاعتداء هذا العجز المزرى بكرامة الرجولة

يحدث هذا هنا وفى هذا البلد بينما لايحدث مثله أو مايقرب منه فى غيره من بلاد الغرب ( والمؤلف لم يكن له الحظ ان يزور الشرق فلا يعلم عنه شيئاً من هذا القبيل ) هنالك يقبل الرجل منهم على مقاومة الاعتداء مهما كلفه هذا الاقبال من الآلام ، هم يعلمون انهم رجال وان الرجولة عندهم هى النقطة الحساسة التى تهون دونها كل الشدائد والاهوال ، وانها لاتتوافر للانسان الا متى قام باعبائها ، فهم يقومون باعبائها من غير تردد . ولعلمهم ان الافراد هنالك لايقيمون على الضيم ولا يصبرون على الاعتداء تراهم يتحرزون من أن يعتدوا على بعضهم لأن لمثل هذا التصرف عواقب وخيمة ، لذلك ترانى فى كل السنين التى قضيتها بين شباب أمريكا لم أر مطلقا ان اثنين تشاتما ، لم يحدث أمامى حادث واحد من هذا القبيل فى ظرف ثلاث سنين قضيتها بينهم ، وفى كل هذه المدة حدث أمامى حادثة ضرب واحدة بذاتها ، وحتى هذه لم تستدع المهاترة والسباب فقد اختلف الشابان وخلعا ستراتهما وصدرياتهما ونازلا بعضهما وأخذا يتبادلان اللكمات الى ان غلب أحدهما وانتهت الحادثة عند هذا الحد ، وعادا موفورى الكرامة مرهوبى الجانب ، وكلا الغالب والمغلوب سواء فى هذا الشرف

اذن نحن خوافون ، لايجب ان نمارى أو نداور فى هذا النقص فى اخلاقنا ، ويجب ان تتجه التربية عندنا الى مداواة هذا النقص واذن يجب ان يدخل فى حساب الوالد والمربى ان يحرص على ان ينال صبيه قسطاً وافراً من الشجاعة ، ولا بأس عندنا ان يضرب الصبى غيره وان يضربه الغير بعض الاحيان . وبمعنى

آخر تنصح للآباء ان لايحولوا بين الصبي وبين الضرب واللكم فى جميع الحالات، يحسن ان ينال الصبي حظه من هذا فهو سينفعه وسيقوى قلبه ويشجعه . كنت أزور عائلة أمريكية فى مصر . وكان للعائلة صبيان متقاربا العمر فاختلفا وأخذ يلكمان بعضهما . وحمى وطيس الضرب وأخذت اللكمات تنهال بسرعة لابأس بها كل هذا والأم والأب جالسان يراقبان ، ولم يتدخلا الا بعد ان تركا المجال فسيحاً للصبيين ليعاقبا بعضهما . ثم قال الآب « هـذا حسن لقد احسنا واستفادا من هذا النضال »

أرجو أن لا يسيء أحد فهم ما اقصد . انا لا ادعو المدارس أو المعاهد لأن تسمح بالشجار أو الضرب . لأن هذا بالطبع لايجب أن يكون . وانما ادعو العائلات لأن تفهم أن هذه الحوادث فى البيوت وفى الشوارع — ان حدثت من تلقاء نفسها — مفيدة الى حد محدود وتساعد على تكوين الرجولة فى الصبي . ويحسن أن ينال الصبي حظه منها عفواً وبمقتضيات الظروف من غير أن يدبرها احد ، أما حماية الصبي من أن ينال بضع لكمات ، أما حمايته من هذه على طول الخط فلا يعود منها شيء على اخلاقه سوى أنه يعتاد أن يتهيب الضرب ويخافه ويتهرب منه مهما كان الثمن الذى يدفعه لهذا التهرب . فقد يسلم الصبي فى كل شيء الا فى أن تناله صفعة واحدة من زميل له ، فقد يسلم بكبريائه وبعزة نفسه لكى ينجو من الضرب

اذن فنحن لاندعو الى الفوضى والى التنازع وانما ندعو الى التربية الاخلاقية ومن حيث أن الضرب والتنازع لا يجب أن يكونا السبيل الى مثل هـذه التربية فيجب أن نستعيض عنهما بما يؤدى الغرض منهما من غير أن نجعل مثل هذه السبيل مشروعة . هنالك انواع كثيرة من النشاط تولد الشجاعة فى الصبي ويجب أن نوفر له هـذه الانواع حتى يتشجع

الحق أن العائلات عندنا غير صالحة لبث الشجاعة والاقدام فى نفوس

الاطفال . لا بل كثير من هذه العائلات يعمل على النيقض من هذا تماماً .فبعضها تحاول عن غير قصد بالطبع أن تنشىء صبياناً خوافين جبناء رعاديد ، وطريقتها الى ذلك بسيطة جداً . وهى انها تحمى الطفل أكثر مما يجب أن تحميه . ثم انها تغالى فى هذه الحماية الى ان تستلب منه جميع الخصال التى يستطيع أن يعتمد عليها الصبى فى الظروف الحرجة أو الشبيهة بالحرجة . فترى بعض هؤلاء الصبيان عاجزين عن أن يتصرفوا بما يخرجهم من ورطتهم بشىء من عزة النفس أو بقليل من الروح المعنوية

واذا كان الطفل لايخرج الى الشارع الا بصحبة خادم أوفرد بالغ من العائلة . واذا كان لا يؤتمن أن يركب الترام بمفرده أو يذهب الى المدرسة مجرداً من حماية العائلة له ، واذا كان لايتشجع على أن يذهب للسوق أو يخرج للرياضة أو يخطو خارج عتبة الدار غير مصحوب باحد . إذا كان لايفعل هذه أو يشجع على أن يفعلها بمفرده ، فماذا ننتظر من مثل هذا الصبى سوى أن يكون عالة على غيره فى جميع ما يعرض له؟ هل ننتظر من مثل هذا أن يكون رجلا مستقلا يوما من الايام؟

والمؤلف لا ينكر الاخطار التى يتعرض لها الصبيان فى شوارع القاهرة . ولا يريد أن يزعم أن هذه الاخطار خيالية غير حقيقية ، لا يستطيع ولا ينوى ان يزعم هذا أو شيئاً مثله . ومع كل هذا لا يزال الموضوع حيث هو ولا تزال التهمة قائمة وهى ان العائلات فى هذه البلاد تحمى الطفل وتصر على أن تحميه بغض النظر عن العواقب الاخلاقية التى تترتب على هذا

كان لاحد الامريكيين فى برلين صبى صغير ، وكان هذا الصبى تلميذاً فى احدى المدارس التى تبعد عن بيته بمرحلة طويلة ، أخذ هذا الامريكى ولده الى المدرسة بنفسه فى أول يوم ، وفى اليوم الثانى قال لابنه ، يا بنى أنت كبير ويجب أن تعتمد

على نفسك لا غير فيجب ان تذهب الى المدرسة منفرداً من الآن فصاعداً ، فبكى الصبي واحتج وتردد فى الذهاب بنفسه بدون حماية والده . ولكن اباه اغلظ عليه لكى يذهب منفرداً . فذهب بينما ابوه يتبعه من بعيد مواريا نفسه خلف الابنية والمارة وهو يحرص على ان لا يراه . ذهب الصبي اذن واعتاد الذهاب منفرداً الى مدرسته فى مدينة كبرلين وهو غريب عنها

وكان لاحد المصريين صبي فى الثالثة عشرة من عمره وكان هذا الصبي عضو فى قسم الصبيان بجمعية الشبان المسيحية . وكان الصبي يرغب فى ان يستفيد من مزايا هذا المعهد العديدة . ثم أنه كان يشعر من نفسه انه مستطيع ان يذهب الى ذلك المعهد ويعود منه منفرداً ، لا بل كان يحتج على ابيه ويعارض فى أن يستصحبه أحد . ولكن احتجاجه ومعارضته كانا على غير جدوى لأن الأب — وخلفه الام بالطبع — كان يصر على أن لا يدع هذا الصبي يغيب عن عينيه لحظة فى الطريق ، وكان هذا الأب المسكين يرصد جزءاً كبيراً من وقته يصرفه فى الذهاب والاياب وفى انتظار ابنه ريثما يفرغ من العابه فى قسم الصبيان . كان يفعل هذا فى كل مرة يزمع الصبي الذهاب الى المعهد

وبالطبع سئم الأب هذه النزهة الاجبارية ، وحق له ان يسأمها ، فاراد ان يجد حلا موافقا لهذه المعضلة . وكل حل موافق له مادام الصبي لا يروح منفرداً أو يغدو منفرداً . فوجد الحل المعقول عنده الحل الذى لايطيب له حل سواه ، وهو ان هذا الصبي لايجب أن يظل عضواً بقسم الصبيان ، وعلى هذا انقطع الصبي ولم نعد نراه بينما هو فى نظرى من أحوج الصبيان الى وسائل هذا المعهد

ثم قابلت أباه واستوضحته فقال

— أما الصبي فمحتاج الى ماتقدمون فى معهدكم وشديد الرغبة فى ان يعود اليكم

— اذن ما المانع فى أن يعود الينا ؟

لانأتمن أن نطلقه وحده فى الطريق . لابد وأن يصحبه انسان كبير وليس لدى الوقت الذى أصرفه فى المجىء والرواح . فهل يمكن ان خادم المعهد يأخذه من يده الى أن يضعه فى الترام نمرة كذا ؟ أرجو ان يكون هذا ممكنا لأن هذا يحل لنا مشكلة مستعصية

— أظن هذا غير مستطاع لسببين أولا لأن لنا خادما واحدا وعندنا أعضاء كثيرون . فاذا بدأت هذا لا أعلم أين ينتهى بنا المطاف . هل نستأجر حارسا لكل صبى عندنا ؟ ومع ذلك فليس هذا السبب المهم وانما السبب المهم حقاً هو ان هذا العمل مضر باخلاق الصبى . فاذا كنا لانثق به لينظر الى نفسه فى الطريق وهو فى هذه السن فماذا يفعل فى مستقبل أيامه ؟

— أنا أعلم هذا وأعرف ان التربية الصحيحة تستلزم ان هذا الصبى يغدو ويروح منفرداً . ومع كل هـذا لايطاوعنى قلبى ان أفعله . لا أستطيع . كلا لا أستطيع

والمؤلف يشعر انه لايستطيع حقاً . فهو فى حاجة لأن يعود طفلا مرة أخرى ويعيش فى نظام آخر ويخضع لنوع آخر من التربية حتى يستطيع . ومن حيث ان هذا غير ممكن فسوف يدفع هذا الصبى ثمناً غاليا لحنو هذا الأب

هذا ما يدعونا لان نرسم هذه الخطة لتربية الصبيان . فندعو لان يتركوا لانفسهم قليلا حتى يتمرسوا وحتى يختبروا الجانب الخشن لهذه الحياة . يجب ان يتعرضوا لشدائدها نوعا ما حتى تنمو فيهم خصائص الرجولة . وبالطبع هنالك أنواع كثيرة من النشاط الذى يؤدى الى هذه الغاية متى خلى بينه وبين الصبى . فليقبل الصبيان اذن على بعض أنواع النشاط وليوفر الآباء مثل هذا البعض لأولادهم قسطا نافعا منه

وأول هذه الوسائط الالعاب الرياضية ومنها الملاكمة أيضاً . فى الالعـاب

الرياضية يضطر الصبي لأن يلتحم مع اخوانه جسما لجسم ويداً ليد ويقاوم بقوته البدنية ويستعمل هذه القوة البدنية فى الهجوم وفى الدفاع . هذا الضرب من النشاط يولد الشجاعة حقاً . وينتزع من فؤاده الرهبة التى يستشعرها من الناس ويشعره أيضاً ان حظه فى النزال قد يساوى حظ غيره وأنه ان كان مجازفا حقاً فغيره مجازف أيضاً . ثم يعرف بالخبرة والمران ان الهروب ليس أدعى للسلامة من الاقدام فى جميع الحالات . كل هذه أمور تتوافر للصبى فى الالعاب الرياضية بشرط ان تكون من النوع الاجتماعى الذى يتطلب عددا من الصبيان يشتركون فيها

فكرة السلة أو كرة القدم مثلا تخدم هذا الغرض أجل خدمة وهما من الوسائل الايجابية فى ايجاد عنصر الشجاعة فى الصبيان ، ومتى استطاع الصبى أن يساهم فى هذين النوعين من الرياضة ويشترك فيهما بقسط وافر فيلتحم مع باقى الصبيان عندما يجد الجد ويحمى اللعب ويهجم بقلب كبير ويبلى بلاء طيباً عندما يستعر اوار اللعبة فلا بد أن يتوافر عنصر الشجاعة للصبى اذا لم تكن هنالك عوامل أخرى تحاول القضاء عليه

يلذ للمؤلف كثيراً أن ينتحى ناحية قصية من الملعب الرياضى ويشاهد سلوك الصبيان فيه . والحق أن هذه المشاهدة تفتح له كثيراً من الابواب فيرى عن كثب بعض نواحى الفرد الاخلاقية خصوصاً فى الصبيان الجدد فى المعهد . فان هؤلاء يتميزون عن ابناء المعهد الاصليين بشيئين ، أولهما الصعوبة التى يجدها الصبى الجديد فى التوفيق بين عضلاته ونظره أى مايسميه النفسيون والفسيولوجيون (Coordinatiom of eyes and muscles ) فترى الصبى من هؤلاء يتحرك ويهم بالعمل قبل ان يؤون الأوان أو بعده وليس فى الظرف المناسب ، وبمعنى آخر تراه يهم بامساك الكرة مثلا قبل ان تصل المكان المناسب أو يتأخر فى امساكها ، وفى كلا الحالين يفشل ، وبالطبع يحتاج الصبى الى زمن وخبرة ومران

حتى يعمل حينما يجب ان يعمل لاقبل ذلك أو بعده

والشيء الثانى الذى يتميز به الصبى الحديث العهد بالمعهد هو خوفه وتردده فى اللعب . فانك ترى مثل هذا الصبى يحرص على أن يكون بعيدا بجسمه عن بقية الصبيان فى اللعب . فيمد يديه بأكثر مما يجب ان يمدهما ويبعد جسمه عن بقية اخوانه بأكثر مما يجب ان يبعده . كأنه يخشى أنه سوف يتهشم اذا ما اصطدم بغيره ثم يلعب على هذه الحالة ويحرص على أن لا يجازف بأكثر من هذا مهما كلفه الامر فليس الغرض الاول عنده أن يسبق زميله الى الكرة مثلا . وانما غرضه المهم هو أن ينجو بنفسه من هذا النضال

تشاهد هذا ولا أظنك تستطيع ان تفعل شيئاً سوى أن تضع مثل هذا الصبى مع من هم فى سنه وحجمه حتى يشعر ان الكفة متعادلة نوعا وان الحظوظ متساوية وان الاحتمالات تقضى بأنه سينجو سليما اذا ما اصطدم بغيره . وبمعنى آخر تدخل عاملا طفيفا من الطمأنية على عوامل البيئة . وهو أن تتساوى أجسام اللاعبين . ثم تتركها تفعل فعلها فى الصبى . ثم تتيقن أنه مادامت العوامل كما هى ومادامت لم تدخل عليها بعض العناصر الغريبة فسوف يقدم هذا الصبى ويتشجع بعد الاختبار والممارسة

أما اذا ترك مثل هذا الصبى من غير تغيير أو تبديل فى عناصر البيئة فسوف يتأصل فيه هذا الخوف ويصير لازمة من لوازم أخلاقه وخصوصا لو تصادف وصدمه أحد الصبيان الكبار بقصد أو بغير قصد . متى حصل هذا أو شيء مثله فسوف يزداد حرص الصبى على ان ينجو بنفسه اذا حمى وطيس اللعب . ثم اذا كان هذا هو حظه واخوانه يهزلون فما باله اذا كانوا يجدون ؟

هذا من ناحية الالعاب الرياضية . وأما فى غيرها فيجب ان يترقب المربى الفرص حتى يزرع بذور الشجاعة والاقدام فى الصبى كلما وجد ان الفرص سانحة

لهذا النوع من التربية ، يجب ان يراقب الصبي كثيرا ويتدخل فى بيئته كلما استطاع ذلك . ويجب ان يفعل هذا باستمرار ومن غير انقطاع مادام الصبي فى عهدته ويجب ان يعلم أنه ليس لمثل هذه الامور حد تقف عنده — أو بمعنى آخر لايكفى لبذر بذور الشجاعة ان يتدخل المربى فى البيئة مرة واحدة أو عشرين أو مائة مرة بل يلزمه ان يتدخل ويصر على ادخال بعض العوامل فى البيئة ويلحف فى هـــذه السياسة من غير ان يهمل أو يتوقف . يفعل هذا الى أن يصير عاجزا عن فعله بطريقة من الطرق . حينئذ وحينئذ فقط يجوز له أن ينتظر من الصبي أن يكون مقداما شجاعا فى أغلب الحالات

هذا ما نقصده بمعالجة البيئة . وهذا بالضبط مايفعله قسم الصبيان بجمعية الشبان المسيحية مع الصبيان الذين يلتحقون به ، واليك الامثلة على ذلك

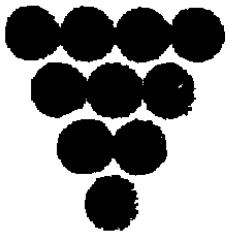

# الفصل الثانى

## خوف يستر وراء الدين

حدث أننا ذهبنا الى رحلة فى القناطر الخيرية لنصرف اليوم بطوله وكنا عشرين صبياً . ومن عادتنا فى هذه الرحلات أن نحضر الغداء معنا كل على مايشتهى ويريد وتبعاً لما تصنع له أمه . ثم نعمل بعض المرطبات بانفسنا هنالك . نذهب الى مكان مثل هذا ونرتب برنامجنا ونجعل لكل شىء ميعاده كالأكل وتناول المرطبات والألعاب والراحة

وحدث فى فترة الراحة أن الصبيان وجدوا أنفسهم شارعين فى لعبة جديدة . وأقصد بهذا أنهم لم يفكروا فيها ولم يتدبروها وانما أتت لهم عفواً فوجدوا أنفسهم يلعبون وهم لايشعرون ، وتتلخص هذه اللعبة فى أنهم انقسموا الى فريقين متقابلين ، وكان هم كل فريق أن يهجم على فرد من الفريق الآخر فيطرحونه على الأرض ويقيدونه ويمنعونه الحركة ثم يخلعون له حذاءه وجواربه ويتركون هذه بجانبه ثم يلوذون بالفرار ويختبئون بين الأشجار

جلست أراقب بلذة لأن اللعب بجميع أنواعه ان لم يكن مضراً فهو مفيد ، وقد كانوا يحرصون على أن يجردوا بعضهم بعضا من الاحذية على مقربة منى حتى يرونى أى الفريقين أبرع فى هذا الميدان وأنشط . وبينما هم يفعلون هذا وأنا أرقبهم بسرور ، اذا بصبى يأتى الى حيث أجلس ويجلس بجانبى ففهمت الدافع الحقيقى الذى حدا به لأن يجلس الى جانبى ، فهو يريد ان يحتمى بى لان الصبيان سيتركونه حتما احتراما لى . فهمت هذا لانى أعرف هذا الصبى كما أعرف كثيرين غيره — أعرفه وراقبته فى جميع أنواع النشاط فى قسم الصبيان ، فهو جبان وخواف

للدرجة القصرى . يـكره ان يحتك بالصبيان أمثاله فى الهزل والجد على السواء ويهرب من الاحتكاك بهم بـكل السبل المستطاعة . وأما فى اللعب فهو آخرهم اقداما وأقلهم شجاعة وأولهم فراراً من وجه اى مهاجم وأسرعهم فى أخلاء السبيل لـكل فرد من الفريق المقابل . هذا من حيث تصرفه فى المعهد

أما من حيث بيئته فى عائلته فهى ليست بيئة صالحة للنماء الخلقى المستكمل . فانا أعرف أباه وأمه وأعرف أنهما من النوع الذى يحرص على أن يكون ابنهما رخواً زاعمين ان مثل هذا من الدين ومن الاخلاق . وهما يفهمان أمر المسيح ، من لطمك على خدك الا ين فحول له الايسر أيضا ، فهما مغلوطاً ويسيران على هذا الفهم المغلوط ، فيستطيع هذا الصبى أيقف مكتوف اليدين لكل صافع ولا يحرك يداً خوفا وجبناً وفى نفس الوقت يحجك بأن هذا أمر المسيح وأنه يحرص على ان يطيع هذا الامر.

هو مثل ذلك الصبى الذى حضر الى باكياً والدموع تنهمر بغزارة من عينيه وقال « افندى . . . . . فلان ضربنى ، فقلت ولماذا لم تضربه فقال « حرام »

ـــ وكيف كان ذلك ؟

ـــ المسيح قال كيت وكيت

ـــ وماذا تنتظر منى أن أفعل ؟

ـــ أن تعاقبه

ـــ ألم يقل المسيح كذا وكذا ؟

ـــ نعم ولـكن ان عاقبته انت فلا جرم على أنا

ـــ اذن تريدنى ان اجرم أنا

ـــ كلا لا أريدك ان ترتكب الخطأ

ـــ اذا كان عقابه خطأ فاتركه من غير عقاب واذا كان صواباً فعاقبه انت

ـــ أنا لا أستطيع لأنه أكبر منى

— ها ها . . . هذا حسن . اذن انت لم تسامحه اطاعة لامر المسيح لابل لم تسامحه أصلا . وانما أنت موتور منه ولكنك عاجز عن ان تفعل شيئاً آخر . واذن فلا تلومن المسيح لهذا العجز

— هو كذلك أنا لست كفوءاً له

— اذن اترك المسألة لى لأتصرف فيها بما ينفعك أولا ثم بالعدل ثانياً . وانما أعلم هذا وسر بمقتضاه — لاتسمح لأى صبى أن يعتدى عليك . رد اعتداءه بكل ماتملك من قوة وسوف أقف بجانبك فى مثل هذه الأحوال

وصاحبنا من هذا النوع الخواف الجبان والذى يدارى خوفه وجبنه بشىء من الكتب المنزلة أو بأمر من أحد الأنبياء والقديسين . وهو يعتدى أو يقاوم الاعتداء أن استطاع ويتحل المعاذير لجبنه ان عجز . هذا هو صاحبنا الذى نروى لك قصته الآن

ثم انه مترهل كثير اللحم والشحم . وذلك لان أمه تحرص على ان تطعمه كثيراً وتحشو له بطنه مااستطاعت الى ذلك سبيلا . وليس هذا فقط ولكن عائلته تحرص على ان تحميه وتحوطه من كل أنواع الاختبارات الشاقة العنيفة نوعا ما . فهو لايركب عجلة لئلا يسقط . ولا يخرج الى الشارع لئلا يضربه أحد ولا يلعب مع الصبيان لئلا يتعرض جسمه وهكذا وهكذا الى آخر قائمة التحوطات والحمايات . وبالطبع لانتظر من هذا الصبى وبيئته كما وصفنا أن يكون شجاعا مقداما

تقدم هذا الصبى اذن وجلس بقربى ليحظى بحمايتى كما قلت فيما سبق . وهو لايعلم بالطبع ان حماية الصبى لاتدخل فى حسابى . وانما مايدخل فى حسابى ان يتشجع ويقدم فيستطيع ان يحمى نفسه

— فقلت لماذا لم تشترك مع اخوانك فى العابهم هذه ياافلان ؟

— لانى لاأحب هذا الضرب من اللعب

ـ لماذا ؟

ـ لأن حـــذائى ضيق ولا أستطيع ان ألبسه من غير الاداة ـ ولا أداة معى الآن

ـ هل يستحيل لبسه من غير هذه الاداة ؟

ـ كلا يمكن ذلك ولكنه صعب

ثم تركته جالساً بقربى وأخذت أتأمل فى كيف استطيع ان أغير فى عناصر البيئة أو أدخل عناصر جديدة بحيث لايهاب الاقدام كل هذه الهيبة . وبالطبع شعرت أنه لايجدى اذا قلت لهذا الصبى أنه فى الواقع جبان لان مثل هذا التصرف يدخل العوامل الشخصية فى الموضوع وتصير المسألة بينى وبينه عوضا عن ان تكون بينه وبين البيئة ، تركت هذا الرأى اذن وأخذت أبحث عن غيره الى ان وجدت حلا لهذا الأمر . أو خلت انى وجدت حلا فأخذت أجربه لتو والساعة عسى ان ينجح ، وقد نجح فعلا

جلست اراقب الصبيان وهو بجانبى معفى من النزال اكراما لى ، ثم حانت منى التفاتة فرأيت صبياً صغيراً يصغر كثيراً عن صاحبنا ولكنه يساهم مع باقى الصبيان فى الهجوم والفرار ، نظرت فوجدت حـــذاءه فى قدميه فالتفت الى صاحبنا وقلت

ـ أترى هذا الصبى الصغير ؟

ـ فقال نعم

ـ هل تستطيع ان تتغلب عليه وانت تكبره كثيراً ؟

ـ بالطبع أستطيع ذلك

ـ هل تستطيع ان تنتزع حذاءه من قدميه ؟

ـ نعم بالطبع

— اذن دونك وهذا الصبي وارني صدق قولك

— فقال هل حقا تريدني ان أفعل هذا ؟

— فقلت بالتأكيد

فما كان منه الا ان هم اليه وطرحه على الارض وجلس على ساقيه وخلع حذاءه وجواربه ، ولكنه ماكاد يفرغ من هذا حتى داهمه الفريق المعادى وفعل به مثلما فعل بزميلهم ، فوجد نفسه بحكم الظروف ناصراً لفريق ومعادياً لآخر ، ووجد أنه قد انساق الى المعمعة بحكم الظروف فحمل حذاءه الى مكان مأمون وألقى بنفسه فى زمرة المناضلين وظل يناضل معهم الى آخر الشوط وعاد بعد ان فرغت الجماعة من اللعب وهو ممتلىء بالفرح وبالثقة فى نفسه

انا لا ازعم اننا قد انتهينا من هذا الصبي وانه قد صار شجاعا مقداما لا غبار عليه ، لا ارعم هذا ولا شيئاً مثله او يقرب منه ، وانما اقول انه لو تكررت الظروف الملائمة لهذا الصبي ولو توالت هذه الظروف على هذه الحال ، ، لو قدر له ان يلتحم فى عراك هزلى او جدى مرة او مرتين ، ولو قدر له ان يخرج من هذه جميعاً على مثل الحالة النفسية التى خرج بها من نضال القناطر الخيرية لتبدلت اخلاقه ولصار له شان غير هذا الشأن

ولكننا لا نجد سبيلا الى هذا الصبي بالذات لأن والده من النوع الذى يؤمن ان الصبيان انما خلقوا للدروس والاستذكار ، وان لا عمل لهم فى هذا الطور من الحياة الا هذا ، وان ما عدا هذا من الشيطان الرجيم . ولهذا السبب فالصبي ممنوع عن ان يتصل بنا ، لا بل ممنوع عن ان يتصل بغيرنا ، ونظامه الذى وضعه له والده هو هذا : من البيت الى المدرسة ومن المدرسة الى البيت ، وما عدا هذا لا يدخل لهذه العائلة فى حساب

ونحن عاجزون عن ان نقنع هذا الأب بخطأه فعسى ان يقتنع به من غير ان يعطل نمو الصبي بوجه من الوجوه

# الفصل الثالث

## خوف يستتر وراء القانون

من اغراضنا أن نحرص على أن نبث الروح الرياضية بين صبيان المعهد ونحن لا نفعل ذلك بالوعظ أو بالكلام أو بالمحاضرات تلقى عليهم فى هذا الباب . لاننا نعلم هذا علماً منا بأن الكلام لن يجدى ، وأن الصبيان قد شبعوا وملوا من هذا الضرب من العلاج ، لهذه الاسباب نحرص على أن تكون البيئة ذاتها مما يساعد على هذا وينبئه . فندخل على هذه البيئة جميع العناصر التى تساعد على نيل هذا الغرض . ونجد على العموم أن النتيجة مشجعة على المضى فى هذا السبيل وانها تشجع ايضاً على أن نزيد فى التجارب التى نجريها من هذا القبيل

أما اذا فشلنا فى احدى هذه التجارب فنعترف لانفسنا ولغيرنا بهذا الفشل ونقبله أولا ثم نحاول أن نكشف عن العوامل التى ادت الى هذا الفشل لنتجنبها ونحيد عن طريقها - ثم نجرب بعض العوامل الاخرى علها تنفع وتأتى بالغرض المقصود . وفى كل هذا نحرص على أن نمنع العوامل الشخصية أن توجد بيننا وبين الصبيان

حدث مرة اننا انضممنا لاتحاد كرة السلة للصبيان الذين تحت السادسة عشرة من عمرهم . انضممنا لهذا الاتحاد ودفعنا الرسوم وأخذنا نعد فريقنا ليوم النزال . وفريقنا يتقن هذه اللعبة اتقاناً كبيراً فكان من المحتمل جدا أن نحظى ببطولة مصر فى هذه اللعبة

نزل فريقنا الى ميدان اللعب فى يوم من الايام وأخذ يتمرن على رمية السلة كالعادة . ونزل الفريق الآخر وهو مكون من اوربيين . فاذا بهم أكبر منا بما

لا يقاس . أكبر فى الاجسام جداً ومظهر بعضهم يدل على انهم أكبر فى السن المحددة فقد كان للبعض منهم عوارض نابتة . نظر اليهم فريقنا فدب الرعب فى قلوبهم . وايقنوا أن حيلهم لن تجدى مع هذه الاجسام . فتشاوروا وتدبروا واوفدوا زعيمهم ليلفت نظرى الى هذا الامر

أما انا من جانبى فقد ذهبت الى مندوب الاتحاد وسألته عما إذا كان متأكداً أن سن هؤلاء الصبيان اقل من السادسة عشرة . فذهب الى مدربهم الاوربى وسأله فأجاب بالايجاب وقال أن جميعهم اقل من هذه السن ، ثم سألت المدرب بنفسى فاجابنى بمثل ما اجاب مندوب الاتحاد . مع كل هـــذا شعرت أن صبياننا سوف يظلمون واننا سوف نخسر فى هذا النضال ولكن ماذا استطيع أن افعل فى مثل هذه الحال ؟ لا أستطيع شيئاً مادام المدرب ومندوب الاتحاد أخذا على عهدتهما هذا الكلام . واذن تكون سنهم اقل من السادسة عشرة حقاً ويكون واجباً على أن اثق بكلامهما فوثقت ، فليكن اننا نناز لهم بكل ما نملك من قوة ومن روح رياضية بغض النظر عن النتيجة ، وما كدت اصل الى هذه النتيجة حتى كان رئيس فريقنا قد وصل الى حيث كنت وقال

ـــ هل حقا أن هؤلاء اقل من السادسة عشرة ؟

ـــ هكذا يقولون

ـــ من يقول بهذا ؟

ـــ مندوب الاتحاد ومدرب الفرقة ـــ كلاهما يقول بهذا

ـــ هذا غير صحيح

ـــ والآن . . . يحسن بك أن لا تتهم احداً بالكذب من دون أن يكون لديك الاثبات على صحة هذا الاتهام . وهل لديك الاثبات ؟

ـــ كلا

ـــ اذن لاتتهجم على الناس فى شرفهم

ـــ ولكن أجسامهم تدل على أنهم أكبر من ذلك بكثير

ـــ هذا حق ـــ ولكن هذه ظنون ، لأن المظاهر الخارجية تخدع فى أحيان كثيرة

ـــ وما العمل الآن ؟

ـــ لامجال للتساؤل فلننزل على حكم الاتحاد ونلعب ـــ هذا رأيى ـــ ومع ذلك فارجع الى اخوانك وتدبروا الأمر وأجمعوا على امر وأنا أنفذه لكم

ورجع اليهم وتشاوروا قليلا ثم جمعوا جموعهم وحضروا الى حيث كنت وهم يكادون ينفجرون من الغيظ . وقال واحد منهم

ـــ نحن لانريد ان نلعب ـ هذا ظلم لنا

ـــ ان كنتم تريدون أن تهربوا من الميدان وأن توسم بالفرار والهروب فدونكم وماتريدون ، ولكن هل تستطيعون فيما بعد أن ترفعوا رؤوسكم كرياضيين ؟ لا أظن ذلك وسوف يأنف أى فريق أن يلعب منكم

ـــ نحن لايمكننا أن نلعب مع هؤلاء

ـــ أتخشونهم ؟

ـــ كلا . ولكن لا أمل لنا فى أن نتغلب عليهم

ـــ اتلعبون فقط عندما تستطيعون أن تقهروا منازليكم ، أما اذا شعرتم بالعجز تهربون ؟ أهذه هى رياضتكم ؟ فليكن

ـــ كلا نحن لانلعب لنغلب فقط ولكن ما العمل الآن ؟

ـــ أنا قلت رأيى وعليكم ان تتشاوروا فيما بينكم وتقرروا بسرعة ماذا أنتم فاعلون ففعلوا وقرروا أن يلعبوا

الحق أقول أنى كنت أجازف بكل شىء فى سبيل تربية هؤلاء الصبيان . لابل كنت أقامر لأنهم لو قرروا عكس ذلك لكنت وجدت نفسى فى أحرج المواقف

وأدقها وأبعدها عن اللياقة والروح الرياضية . ولكنى جازفت أملا أن يصدر عنهم مايشرفهم ويشرفنى ، وهذا ليس بهم كثيرا — وأملا أيضا — وهذا هو أهم شيء — ان يستفيد هؤلاء الصبيان من هذا الظرف

ولست استطيع أن أقطع برأى فى أثر الحادث فى اخلاقهم ، وانما يكفى هنا أن أقول أنهم لعبوا كما يجب أن يلعب أى فريق بروح رياضية عالية مدافعين جهد الطاقة مهاجمين بكل مايملكون من قوة ، وأعلم أيضا أننا قهرنا وغلبنا على أمرنا فى هذا النضال وخرجنا منه مهيضى الجناح شاعرين ان الكفة لم تكن متعادلة ، ولكنى عملت مافى وسعى لأخفف عنهم وأفهمهم أنهم عملوا مايجب ان يعمل فى مثل هذه الظروف ، وان كفاهم فخرا أنه لاغبار على تصرفهم بأى وجه من الوجوه

وأما أنا شخصيا فقد شعرت ان هذا الظرف لم يكن ملائما كل الملائمة لتعويد هؤلاء الصبيان الروح الرياضية التى ننشدها ، فقد كانت نفوسهم مريرة وافئدتهم منسحقة ولم يكن لى إلا أن أخفف وقع هذا الظرف فى نفوسهم وأن انتظر فرصة اخرى تكون أكثر ملائمة استطيع فيها أن اخدم قضية الرياضة باكثر توفيقا

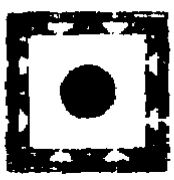

# الفصل الرابع

## درس من الخوف

ولم انتظر كثيراً لتتاح لى هذه الفرصة فقد سنحت بعد ثلاثة أيام من تاريخ هذه الحادثة ، فقد كنا تواعدنا على ان نلعب فى مباراة حبية مع احدى المدارس فى أرضنا ، وما أزف الموعد الا وحضر فريق تلك المدرسة ، ودهشت حقاً لان الكفة لم تكن متعادلة بل كانت تميل الى جانبنا . ذلك لان فريق تلك المدرسة كان أصغر من فريقنا فى السن ، وكان من المحقق أن فريقنا يستطيع ان يسحقهم ان أراد . فشعرت ان هذه قد تكون فرصة أصلح من سابقتها لتعهد الروح الرياضية فى صبياننا فيجب ان انتهزها لاعمل شيئاً يكون له الاثر المطلوب . فدعوت الى قائد فريقنا وقلت له

ـــ مارأيك الآن فيما لو انسحب هؤلاء الصبيان من اللعب ؟

ـــ ولماذا ينسحبون ؟

ـــ لانكم أكبر منهم سناً وأوفر جسما

ـــ وماذا عليهم فى ذلك ؟

ـــ عليهم شيء كثير ، فسوف تسحقونهم سحقاً وأنا لاألومهم فيما لو انسحبوا كما كنتم تزمعون فى ذلك اليوم

ـــ ولكنا نلعب حبياً وليس على كأس ؟

ـــ وهل يغير ذلك فى الامر شيئا ؟ وهل تتغير الروح الرياضية اذا كان اللعب على كأس ؟ وهل يجوز فى واحدة منهما مالا يجوز فى الاخرى ؟

ـــ لك حق يا يعقوب افندى وسوف نحاول ان نكون رياضيين بالمعنى المستقيم للكلمة

ثم حضر الحكم وبدأ اللعب . وكان الشوط الاول حاسما فى ان صبياننا متفوقون بشكل لايدل على التعادل . اذ أنهم أحرزوا فى ربع الوقت مايقرب من العشرين نقطة . ثم انتهى الشوط وأنا جالس أراقب والخجل يتملكنى ويتغلغل فى كل مشاعرى ولكنى سكت اذ انى لم أكن أستطيع ان أفعل شيئا من غير ان اتعسف مع صبيانا . والتعسف آخر السبل التى أسلكها . ولا أسلكها الافى الامور التى هى من الدرجة القصوى فى الاهمية . وحتى فى هذه لا أفعل الا بعد ان تفرغ جعبتى . وعلى اى حال تغلبت على مشاعرى واخذت اتتبع هذا النضال الذى لا لايستوى فيه الطرفان . ثم حضر الحكم وأخذ كل لاعب يحتل مكانه من اللعب . ثم بدأ اللعب

ولكن لم تمض دقيقة واحدة الا ورأيت رئيس فريقنا يطلب الى الحكم مهلة ففعل ، واذا بهذا الرئيس يجمع فريقه ويسر اليه ببعض الكلمات ثم يعودون الى أماكنهم . لم أكن أدرى ماذا قال لهم ولكنهم أخذوا يلعبون على كل حال ، ورأيتهم يتناوبون الكرة ويقذفونها من يد الى أخرى من دون ان يسددوها الى السلة فعجبت لهذا التصرف ولكنى لم أفهم السر على أى حال ، ثم حانت لواحد من فريقنا فرصة فسدد الكرة الى السلة وسجل النقطتين لفريقنا ثم دوى المكان بالتصفيق ، ولكن ماندرى الا ورئيس الفرقة يطلب مهلة أخرى ويرسل هذا اللاعب بالذات الى خارج الميدان ويستدعى غيره . فازدادت حيرتى ودعوت ذلك اللاعب واستوضحته الامر فقال

« لقد طلب الينا الرئيس ان لانحاول اكتساب نقط جديدة بل ندافع عن هدفنا ونمنعهم ان يسجلوا لانفسهم أشواطا ان أمكن . ثم نكتفى بهذا ، ولكنى كنت قريبا من الهدف بشكل أغرانى على ان اقذف بالكرة اليه ففعلت وسجلت الشوط فاخرجنى الرئيس من الملعب لهذا السبب »

فقلت حسن . يجدر بك ان تستمع نصائح الرئيس مادمتم فى الملعب الرياضى ، أما اذا فعل كل منكم مايحلو له فسيكون الأمر بينكم فوضى أليس كذلك ؟

هو كذلك

اذن اجلس بجانبي لتستريح

لو تكررت هذه المناسبات وكانت مثل هذه الظروف سانحة — وهى لابد عائدة وسانحة — لكان من الممكن ان نزعم ان أخلاق الصبيان تجد البيئة الصالحة لنموها فعلا ، ونحن نظن ان مثل هذه المناسبات ليست فريدة فى بابها أو منقطعة النظائر فى هذا المعهد لان بيئته غنية بمثل هذه الاختيارات ، لابل هو فى ذاته بيئة مناسبة لمثل هذا النماء الاخلاقى ، والصبيان فى الواقع فى حاجة ماسة الى أمثال هذا المعهد . لقد شعر بذلك أهل الغرب فتوافروا على ايجاد المئات منها ، وعلى الاهتمام بها حتى يعينوها على تأدية مهمتها العظيمة ، وفى الواقع قد شعر كثير من أئمة التربية هنالك ان هذه المعاهد متممة للمدارس وان الواحدة لاتقوم الا بالاخرى ، وانك لتجد ذكراً لمعاهد الصبيان فى معظم كتب التربية التى وضعها العلماء